

الكتاب المدرسي في الجزائر "المرحلة الابتدائية أنموذجاً"

الأستاذة فاطمة الزهراء بغداد

جامعة بشار

كثرت في الآونة الأخيرة الكتابات التي تناولت الكتب المدرسية وتعددت البحوث والمؤلفات التي وردت في هذا الميدان، والتي تناولت هذا البحث من زوايا مختلفة، بعضها من وجهة النظر التراثية، وبعضها من وجهة نظر اللسانيات الحديثة.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نعرف أولاً مفهوم الكتاب المدرسي للكتاب - بصفة عامة - تعريفات عديدة وردت في معاجم اللغة، القديم منها والحديث، وفي "دوائر المعارف والموسوعات العلمية"¹.

وقد أدرك اللسانيون العرب أهمية الكتاب، وضرورة الإلمام بأسبابه إلماماً واسعاً والإحاطة بنتائجه بغية تحقيق الأهداف المرجوة منه، وتخطيط العمل المدرسي، وتعزيز التعلم وتثبيت المعلومات، وتتجلى أهميته فيما يلي:

❖ المرجع الأساس الذي يتلقى منه التلميذ المعلومات .

❖ يعمل على إنجاح العملية التربوية (المعلم والمتعلم).

❖ يساعد على تحقيق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية (الأهداف

البيداغوجية لعملية التعليم)، ومن الوسائل الفعالة التي أسهمت في تحقيق الأهداف المنشودة.

يقول الإمام الشافعي:

فلا بُدَّ من كون ما حُطَّ في كتابك، تحيي به أو تُصَابُ

فمن حائل دون ما في الكتاب ومن مرسل منا آياه الكتاب²

الكتاب المدرسي من المرتكزات الرئيسة في العملية التعليمية، تولى أمره رجال التربية، والتعليم، وعلماء النفس، وخبراء المناهج، وهو الأساس الذي يستند إليه المعلم في إعداد دروسه، وتحقيق الأهداف المرجوة منه، وبالنظر إلى دوره في تخطيط ورسم معالم العمل التدريسي، فهو المرجع الأساس الذي يعول عليه التلميذ في تقصي معارفه الأولى ويزوده بأساسيات التعليم من علوم وخبرات، وثقافة، إلا أن الناظر المتأمل المتصفح لهذه الكتب يجد أنها تحتاج إلى عملية تقييم ومراجعة، نظرا للاعتقاد الخاطئ بأنه مستوف كافة الشروط والمواصفات التي تجعله أمرا غير قابل للنقد، والسؤال المطروح هنا: ما الوسائل التعليمية التي تجعل التلميذ يغير من سلوكه، هل هو الكتاب المدرسي ؟ هل هو المعلم ؟ هل المنهاج ؟ (المحتوى)، وقبل أن نخوض في الحديث عن الكتاب المدرسي يجدر بنا أن نحدد أولا مفهوم التعلم، حتى نتمكن من معرفة العناصر الرئيسة للعملية التعليمية، فما هو التعلم ؟ لم هذا الاهتمام المتزايد به ؟ هل ؟ وما ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟.

للتعلم - بصفة عامة - تعريفات عديدة وتكاد تجمع هذه التعريفات على أنه عملية اكتساب الطرق التي تجعل الإنسان (المتعلم) قادرا على اكتساب معارف جديدة، من هنا تتجلى لنا القدرة على تحقيق الأهداف التي يتوخاها هذا المتعلم (كل ما يكتسبه الفرد بالخبرة، والمعرفة، والممارسة)، ف: "التعلم نشاط مستمر يتحقق بوساطة اكتساب خبرات وقدرات جديدة تثري رصيد الخبرات السابقة"³.

إن التعلم يجعل المتعلم قابلا لتغيير سلوكياته، وتعديلها، وتحسينها باستمرار وهذا ما يهدف إليه المتعلم المهياً، نفسياً، واجتماعياً، وعضوياً للتفاعل مع المحيط الخارجي، والبحث عن الطرق المساعدة على اكتساب آليات، واستراتيجيات، وخبرات جديدة ف: "التعلم هو تغير دائم في سلوك

الإنسان واكتساب مستمر لخبرات ومهارات جديدة تؤدي بالضرورة إلى إدراك جديد ⁴.

إن هذا التعريف يركز على ضرورة اكتساب معارف جديدة تغير من سلوك الإنسان، وقد نسأل : هل المتعلم يغير سلوكاته بنفسه أم يحتاج إلى مغير ؟ فمن هو هذا المغير ؟.

بناء على هذا الوعي بضرورة التغيير الذي يحتاج إلى تغير ذهنية التلميذ وسلوكه، ويمكن لنا القول حينئذ إن المغير هو المعلم الذي يبذل جهدا لتغيير أداء التلميذ وسلوكه، ولكي يكون هذا المعلم جادا في عمله لا بد له قنوات أو وسائل بيداغوجية تعينه على الوصول إلى العالم السيكلولوجي للتلميذ، من هنا نقول إن الغاية من تعريف التعلم هو الكشف عن العناصر الرئيسة للعملية التعليمية، وهي المعلم، والتلميذ، والكتاب المدرسي، والمنهاج، ومفهوم الكتاب المدرسي يمكن صياغته على النحو التالي: "وثيقة تربوية مكونة لعمليات التعلم والتعليم منتجاً مع المدرسة، والمعلم، والتلاميذ، والخدمات المساعدة والكوادر الإدارية، فهو أهم عملية لنمو الفرد والأسرة والمجتمع"⁵.

يعد الكتاب المدرسي من الوسائل المهمة في إنجاح العملية التعليمية وإنجاح التربية التعليمية في الوقت نفسه، سواء للمعلم أو المتعلم (التلميذ)؛ أي لا يقتصر على المتعلم فقط بل على المعلم أيضاً، فيعتمد إليه المعلم في تحضير دروسه والإعداد لها، ويساعد التلميذ على استيعاب واستذكار دروسه، ليس هذا وحسب، بل هو المصدر الأساس لاكتساب المعرفة وأساسها.

من الأمور الداخلة في صناعة الكتاب المدرسي ما يسمى بالإعداد، والتحرير، واختيار المادة العلمية، إلى جانب الإخراج الفني، كل ذلك يعد أمراً ذا أهمية خاصة، ومن هنا تتجلى لنا قيمته العلمية، وبالنسبة لواقع الكتاب المدرسي للغة العربية في المرحلة الابتدائية بالجزائر "السنة الخامسة من التعليم الابتدائي"، فمن المعلوم أن التعليم في هذه البلاد بني على ركائز ومبادئ

عامة من بينها اللغة العربية و: "معروف أن معظم دول العالم تتولى الدولة أو الحكومة مهمة نشر الكتب المدرسية عدا أمريكا فإن القطاع الخاص يقوم بهذه المسؤولية"⁶.

جاء الكتاب* في مائة وإحدى وتسعين صفحة، وتشتمل مقررات اللغة العربية في المرحلة الابتدائية للصف الأخير من هذه المرحلة على ست مواد هي: النحو، والصرف، والإملاء، والمعجم، والنص التوثيقي، والمحفوظات، ومن بين مقررات اللغة العربية المعتمد عليها في هذا البحث "مادة قواعد اللغة العربية" من نحو وصرف، فقواعد اللغة العربية تم الاتفاق على تدريسها من السنة الثالثة، في حين يبدأ تعليم اللغة العربية من السنة الأولى ابتدائي، وخصص هذا البحث لمادة قواعد اللغة العربية الهادف إلى خدمة التعبير بشكله الشفهي، والكتابي وتعد القواعد الوسيلة الفعالة لتقييم التلميذ تعينه على دقة التعبير، وصحة الأداء، وسلامة استخدام اللغة استخداما صحيحا، ف: "القواعد وسيلة تؤدي إلى سلامة التعبير حديثا وكتابة وإلى فهم الأفكار وإدراك المعاني بيسر"⁷.

فهذا النوع من التأليف عرف تغييرات عدة في السنوات الأخيرة إلى أن وصل إلى هذا الإخراج الذي هو عليه الآن، وهذا التأليف يخضع لوصايا وزارة التربية الوطنية، إذ قام هذا الفريق بإعادة النظر في الكتب المدرسية لهذه المرحلة مستعينين في ذلك بنتائج علم التربية التي تهدف إلى تعليم المحتوى (المنهاج)، أي ماذا نعلم؟ وهذا ما يهدف إليه علم اللسان إلى جانب الاهتمام بعلم اللغة الاجتماعي الذي تعرض إلى كيفية التعلم، فكيف نعلم، أما الطريقة أو المنهج فهي من اهتمامات علم التربية، وعلم النفس اللغوي، فالمنهج إجراءات أو تقنيات يكتسب منها المتعلم مهارات، أو سلوكيات، أو مواقف جديدة مرغوب فيها ويكف من عادات غير مرغوب فيها، وأما المنهاج: فهو تنظيم لجملة من العناصر والأنشطة المخططة بشكل يمكن من تكوين المتعلم متضمنا في ذلك الأهداف، والغايات المتوخاة من فعل التعلم والتعليم، فالمنهاج هو المحتوى، بينما

المنهج هو الطريقة، والسؤال المطروح: هل تم اختيار هذا التأليف بعناية ودقة وفقا لمنهج علمي سليم مع مراعاة علوم أخرى مؤثرة في تقديم هذا التأليف كعلوم اللسان العام من جهة، وعلم النفس، وعلم التربية، وعلم الاجتماع من جهة أخرى.

جاء الكتاب مقسما إلى عدد من الوحدات وكل وحدة تتضمن عددا من الموضوعات أو الدروس، تحتوي الصفحة الأولى التي تحمل عنوان الوحدة على عرض لدروس الوحدة، كما تحمل الصفحة الأولى من الكتاب عنوان (كيف تستعمل كتابك) وجمع موضوعات القراءة والنصوص والموضوعات النحوية معا في وحداته المكونة له، ويضم الكتاب عددا من الوحدات كل وحدة تنقسم إلى موضوع أو أكثر من موضوعات القراءة شعرا، ونثرا، ومن الموضوعات التي تناسب سن التلاميذ موضوعات الوحدة التالية منها : عاصمة بلادي الجزائر، من تقاليدنا، لوحات من صحراء بلادي.

بعد النظر في كتاب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية في الجزائر، نجد أن هذا الكتاب قد اعتمد نظام الوحدة الدراسية، ويفضي النظر الفاحص إلى تعريف الوحدة، وقد عرفها علماء المناهج بأنها: "تنظيم خاص في المادة الدراسية، وطريقة التدريس، يضع التلاميذ في موقف تعليمي متكامل يثير اهتمامهم، ويتطلب منهم نشاطا متنوعا يناسبهم ويراعي ما بينهم من فروق فردية، ويتضمن مرورهم في خبرات تربوية معينة، ويؤدي بهم إلى فهم وبصيرة في ميدان أو أكثر من ميادين المعرفة، مع إكسابهم عادات ومهارات واتجاهات وقيم مرغوب فيها"⁸، ومعنى هذا أن:

- المادة الدراسية يجب أن تكون قابلة للدراسة، مناسبة لسن التلاميذ وقدراتهم، وتجعلهم قادرين على التعامل معها من أجل تحقيق الهدف المرجو وهو تعلم اللغة.

- النظر في اختيار وانتقاء النصوص وهي من الشروط الرئيسة في بنية وتنظيم المادة العلمية (اختيار الأهم قبل المهم).
- التنوع في اختيار النصوص بين العلمية، والأدبية، والاجتماعية والفكرية.

وتثار عدة تساؤلات حول نتائج التقارير التي قدمتها وزارة التربية والتعليم والموجهون، والمشرفون التربويون حول اختيار وانتقاء مفردات هذه الكتب والوضع لها، ومقررات قواعد اللغة العربية وتوزيع الدروس النحوية والصرفية لها، اختيار مقررات الدراسة لكل مرحلة من مراحل التعليم هل كان بعد استشارة اللساني التطبيقي بالتعاون مع اللساني الاجتماعي، وهل اتخذت التدابير التربوية بعد استشارة اللساني التطبيقي مع رجال التربية، وعلم النفس ومن بين ما يهتم به علم اللسان العام وعلم اللغة الاجتماعي إعداد محتوى المادة التعليمية وتدريسها وكذلك علم اللغة النفسي في بعض جوانبه، بعد اطلعنا على الموضوعات المبرمجة في كتاب "اللغة العربية للسنة الخامسة ابتدائي" سجلنا الملاحظات الآتية:

ابتدأ البرنامج بمفهوم النص وأجزائه، والجملة، وأنواعها في وحدة واحدة، ثم مباشرة عرضت سلسلة من الدروس المتعلقة بالجملة الاسمية والخبر جملة، والخبر شبه جملة في وحدة ثانية، ثم بعدها مباشرة الجملة التعجبية وجملة النداء في الوحدة الثالثة، وخبر كان مفردا وجملة وخبر كان شبه جملة هذه وحدات الفصل الدراسي الأول للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي فوحدات هذا الفصل هل شكلت خطوة من خطوات الاتصال الفعلي بين التلميذ والقواعد؟ ففي مفهوم النص بدأ الدرس ب: "أعرف على النص" مع غياب مؤلفه وعنوانه فلا مناقشة ولا استنتاج يتبعه، ثم يأتي مصطلح "أذكر" يتكون النص من فقرة أو فقرات عدة، ويتبعه أدرج يحمل سؤالاً بالصياغة الآتية: أعد ترتيب الفقرات الآتية لتحصل على نص ؟ ثم يأتي عنوان آخر عنوانه: أتعرف على صيغة

الكلمة تتبعها أتذكر بدلا عن قاعدة وتم صياغتها ب: (عبارات موجزة) مع توضيح الشكل الذي تظهر فيه الكلمة مثل: فَعَلَ، وَيَفْعُلُ، وَأَفْعَلُ، وفاعل ومفعول، ووظف التأطير في كتابة أشكال الكلمة.

السؤال المطروح هنا هل تم تلخيص الدرس بعرض الخطوات التي اتبعت في العرض والتحليل له؟ وأخيرا ينتهي الدرس بتدريبات تخلو من رسوم، وصور توضيحية تساعد التلميذ على الفهم والإحاطة الصحيحة، فهي تدريبات لا تفصح عن قياس مدى نسبة استيعاب التلميذ لهذا الدرس، والدرس الثاني لا يختلف العرض عما هو الحال عليه في الدرس الأول، ومن الملاحظات التي نرى أنها جديرة بالذكر في هذا الصدد هو الخلط بين موضوعات النحو والصرف؛ أي عدم الفصل بينها، وعدم الاستعانة بالأشكال والرسوم البيانية التي تساهم في إنجاح العملية التعليمية والتي تعد من أحسن وأنجع الطرق التربوية لتحصيل النظري كما وضعها الحاج صالح في قوله: "وأحسن الطرق التربوية لتحصيل النحو النظري التي تقدم معلوماته وقوانينه على شكل رسوم بيانية يشار فيها إلى العلاقات والعمليات بالرموز و(عدها قليل) جدا، ويتفادى بذلك النص المسهب الذي يصعب حفظه"⁹.

وقد أخطأ المؤلفون حينما أطلقوا على هذه المادة "النحو" بدلا عن قواعد اللغة العربية، هل فصلوا التعليل؟ ولا بأس لو أطلقوا على هذه المادة (قواعد اللغة العربية) فهي أساسيات تعنى بأساسيات النحو دون التفصيل له، كيف يتمكن التلميذ من فهم الإعلال في هذا السن وهو لا يعرف حتى الكتابة، والقراءة والإملاء أحيانا، فما هو الهدف من هذا التغيير أو التطوير؟ إن كان الهدف الرئيس هو فهم اللغة، وسلامة استعمالها على المنوال التي كانت عليه عند أسلافنا القدماء (الفصحاء) إلى جانب مسار الدولة في شتى الميادين لا سيما الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والبيداغوجية التي تسعى إليها الدولة، أو السلطات العليا بعدها المسؤولة عن تحديد الإخراج، والأهداف العامة والمراحل

الرئيسة لتدرج المناهج، والبرامج المدرسية (الدولة هي المسؤولة عن إنتاج الكتب المدرسية في الجزائر).

أما في الفصل الدراسي الثاني، فقد احتوى هذا الكتاب مباشرة على: خبر إن مفرداً وجملة، وخبر إن شبه جملة (درس النواسخ) التي هي بمثابة فروع لدرسي (المبتدأ والخبر) الذي هو أصل، وبعدها برمج درس الصفة (من بين الدروس المتعلقة بالتوابع) !! ثم الانتقال إلى الحال بشقيه الحال جملة، ثم التمييز، ومن ثم الانتقال إلى أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والاستثناء، وفي الأخير برمجت مجموعة من الدروس المتعلقة بموضوعات متنوعة وهي : المفعول فيه، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول المطلق، والتوكيد بنوعية اللفظي والمعنوي، ثم الأفعال الخمسة فأعراب الفعل المعتل، وتبدأ الدروس بعرض أمثلة مقتطفة من نصوص أدبية، أو علمية، أو ثقافية، إلى جانب نصوص مترجمة من أدب الأطفال نذكر على سبيل المثال لا الحصر " فوكس والحماية المدنية" ص: 46- 47، بعد إيراد الأمثلة تطرح بعدها أسئلة ينتظر من التلميذ الإجابة عنها كشرط أساس لشرح الدرس والتمهيد له، وفي درس القواعد عادة ما تطرح بعض الأسئلة المتعلقة بالدرس السابق على سبيل المثال، إذن الغاية من التمهيد هو لفت انتباه التلميذ إلى درس جديد؛ أي هنا وجوب اختيار قواعد تبنى على أساس دراسات تجريبية وميدانية تأتي نمط هذه الدراسات على هيئة عبارات، أو جمل أو كلمات، أو أفعال، الهدف منها معرفة التلميذ وفهمه للمعلومة المقدمة في القاعدة ولا تهدف إلى الاستعمال الفعلي والإجرائي للقواعد ولا نعلم التلميذ كيف ينتج جملاً صحيحة؟ بل متى يستعملها وكيف؟ فهي تمارين تقليدية كلاسيكية لا تكسب التلميذ آلية الاستعمال الفعلي للقاعدة، فالتلميذ يعرف مثلاً الاسم، والفعل، والفاعل، لكنه لا يستطيع التطبيق، لغياب التطبيق فالأهم هو التطبيق أثناء الكلام، أو الكتابة، أو القراءة إلى جانب بعض التدريبات التي تجعل التلميذ يفكر، ويبدع، ويحلل، ويفسر، ويشرح، يعمل

ويستتج، مثل التعليل للمسائل النحوية، وذلك بضبط أواخر الكلمات مع بيان سبب ذلك، من هنا وجب اختيار المنهج المناسب والملائم لتدريسها بعدها مادة مستقلة بذاتها ولها وقتها من العملية التعليمية لأن القواعد وسيلة لا غاية في حد ذاتها، وهذا ما أدركه الجاحظ وعلل له وعد النحو وسيلة لا غاية يقول في رسائله: أما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن صنعه¹⁰. وهذه وجهة الدراسات التربوية والمتخصصة في مجال طرق التدريس فالنحو في منظورها وسيلة لا غاية، "ويذهب بعض رجال التربية في العصر الحديث إلى أن قواعد اللغة بالنسبة للتلاميذ تشكل وسيلة لا غاية فلا تقصد لذاتها بل هي وسيلة إلى صحة التعبير، ولذا ينبغي أن يقتصر في دراسة النحو على ما يحتاجون إليه من القواعد اللازمة لتقويم ألسنتهم وتصحيح أسلوبهم"¹¹. وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد العليم إبراهيم في مؤلفه الموجه الفني: "الاتجاه الصحيح في تدريس القواعد الإيمان بكون القواعد وسيلة لا غاية"¹². فهل هذا هو مفهوم النحو في التربية الآن؟ أي الاهتمام بالتطبيق، والتدريب، والابتعاد عن التقييد والتلقين (حفظ القاعدة والتعليل لها بعيدا عن التطبيق)؛ أي النظر في القاعدة، والحفاظ عليها وهذا ما عمدت إليه الموروثات القديمة عندما كانت الدراسات النحوية تهتم بها؛ أي أن النحو غاية لا وسيلة، والشيء الآخر أن هذا الكتاب مهد الطريقة الصحيحة المتبعة في الإعراب واتسم هذا التمهيد بإيراد أمثلة معربة في القاعدة، دون أن يطلب من التلميذ إعرابها، بل يكتفي بضبط الكلمة أو الجمل بالشكل الصحيح، ثم إعراب الكلمات التي تحتها خط إعرابا تاما، فبهذا الطرح يتسنى للتلميذ فهم القاعدة، واستيعابه لطريقة الإعراب في الوقت نفسه؛ أي (تهيئة التلميذ واطمئنانه)، وهذه الطريقة تحبب التلميذ لمادة القواعد، فهي طريقة سهلة شيقة تسهل عملية الفهم، والاستيعاب

ولا نقصد بالتحليل، والتفسير، والشرح التأويل والتقدير؛ لأن قدرة التلميذ في هذا السن لم تبلغ درجة التجريد بعد.

- انتقاء واختيار الموضوعات الضرورية التي يستفيد منها التلميذ بصفة مباشرة في اللغة الشفاهية والمكتوبة، بمعنى التدرج في الموضوعات (الاكتفاء بموضوعات الطور الأول، ثم الانتقال إلى موضوعات هي فوق هذا المستوى إلى المرحلة التالية .

❖ **إيجابيات الكتاب:** أسئلة تتعلق باستخدام المعجم، فهذه الأسئلة تساعد التلميذ، وتمكنه من المنجد والتحكم في آلياته، وكيفية البحث عن كلمة ومعانيها، ثم ينتقي المعنى الذي يناسب الكلمة الموجودة في سياق الجملة، أو النص إلى جانب التضاد (دراسة أضداد الكلمات).

❖ **الرصيد اللغوي:** كيف يستعمل التلميذ رصيده اللغوي في كتاباته، وفي تعبيره بشقيه الشفهي والكتابي، السؤال المطروح : كيف يكتسب التلميذ هذا الرصيد اللغوي، يتجلى لنا هنا دور المعلم وطريقته المعتمدة على استعمال هذا الرصيد، والترادف، والتلخيص، وتركيب جملا انطلاقا من كلمات الثروة اللغوية، والاشتقاق الاسمي، والمعاني، وقواعد المزيد، وعلى المعلم أن يدرّب التلاميذ على هذا الأسلوب من التعليم والتعلم بواسطة التمارين التطبيقية المتعددة لكل موضوع .

النصوص المختارة تحمل جوانب عدة منها: الجانب الديني، والثقافي والاجتماعي، والعلمي...إلخ.

التدريبات: تكسب التلميذ استعمال الرصيد اللغوي، وهي:

- رتب الحروف الهجائية ترتيبا صحيحا ؟ ص: 13
- كتابة فقرة وتلخيصها في جملتين ؟ ص: 26.
- صنف الكلمات الآتية إلى مجموعة حسب معناها ؟ ص: 39.
- الربط بين الكلمة وما يناسبها في المعنى ؟ ص: 44.

- ضع الكلمات الآتية في مكان الفراغ ؟ ص: 49. تمارين تجعل التلميذ يفكر ويبدع.

- ابحث في القاموس عن مرادفات الكلمات الآتية وضعها في جمل؟ ص: 62.

- عوض الكلمات التي تحتها خط بكلمات مرادفة لها؟ تمارين جيدة ص: 67.

- الاشتقاق بطرح السؤال الآتي: هات كلمة مشتقة من الأفعال الآتية وضعها في جمل ؟ ص: 67.

- التحويل من المفرد إلى المثنى ثم إلى الجمع؟ وتحويل الأفعال من الماضي إلى المضارع ؟ ص: 116.

أدخل كان على الجملة الآتية وغير ما يجب تغييره ؟ بهذا التمرين يتسنى للتلميذ معرفة العوامل الداخلة ، والتغيرات الطارئة على الجملة.

من مزايا الكتاب؛ التعدد والتنوع في عرض التدريبات وهذا يعد تطورا إيجابيا.

و من الإيجابيات أيضا: أراجع قبل أن أكتب في كراسي.

تدريبات تدعيمية، ص 187 - 188.

الطريقة المعتمدة في التدريس في الجزائر: إن الطريقة التي وظفت النظرية السلوكية التي انبثقت عن هذا المذهب التي انتقدت انتقادا لاذعا من قبل علماء اللسانيات، وعلم النفس اللغوي، وجاءت نظرية تشومسكي كرد على النظرية السلوكية.

ما الهدف من هذه الأمثلة؟ هل هو شرح للقاعدة؟ أو شاهد لها؟ المثال يساعد التلميذ على تطبيق القاعدة المقدمة له في درس من الدروس؛ أي يكتسب التدريب والتمرين بشكل واع للقاعدة، والمثال يُفعل من دور المتعلم ويدعوه إلى

الحوار ؛ أي أن التلميذ يعتمد إلى توظيف طريقة حوارية وهي من بين الطرق المعتمدة في التدريس دون أن يعرف.

الطريق أو المنهج الصحيح في تدريس القواعد ؟ ما الغاية المرجوة من تعليم القواعد في التعليم الجزائري؟ وما الهدف منها؟ الهدف منها إذن هو: "تجنب الوقوع في أخطاء القراءة والكتابة وصيانة القلم واللسان من هذه الأخطاء"¹³.

فالنحو في منظور الدراسات التربوية في الجزائر غاية مقصودة لذاته، وهو مفهوم النحو في التربية القديمة، ومن وضوح أهداف تدريس النحو في الجزائر التركيز على حفظ القواعد دون تطبيقها، ونحن نعرف أن مقررات قواعد اللغة العربية في مراحل التعليم ولا سيما المرحلة الابتدائية شهدت تغيرات كثيرة وسريعة، فما الهدف من هذا التغيير؟ فالهدف غير واضح ؟ وهذا يدل على خلل موجود في المقرر الدراسي الذي لم يبن على أسس علمية تجعله ملائماً لروح اللغة قد أكدت دراسات تربوية أن معظم الكتب المدرسية في البلاد العربية لم توضع بناء على نتائج أبحاث ودراسات ميدانية حقيقية طبقت على واقع التلاميذ المستهدفين في الكتاب المدرسي .

فإن كان الهدف من هذا التغيير هو الارتقاء بالمقررات إلى المستوى الذي تتحقق من خلاله الأهداف التربوية والتعليمية التي تسعى إليها وزارة التعليم في الجزائر، أو اللغة وقد نصت عليه مقدمة الكتاب " اللغة هو الهدف الأسمى"، إلا أن هذا الهدف لم تتضح معالمه بعد، فالتغيير ما زال غير واضح، لن يكون واضحاً إن لم يُقَوِّم المنهج وتحقيق المراجعة المستمرة له . قال عبد المنعم المنياط في مقال أزمة المناهج: "إن واضعي هذه المناهج لا يريدون غرس قيم محددة، وإن التأليف يتم بطريقة عشوائية، وإن نتائجها سلبية إلى حد كبير وغير فاعلة وغير مبدعة"¹⁴.

والشيء الملاحظ أن مؤلفي هذا الكتاب قد أغفلوا المصادر والمراجع التي اعتمدوا عليها، وأغفلوا التأليف في النظريات اللغوية الحديثة في تعليم وتعلم اللغة

(النظرية المعرفية على سبيل المثال لا الحصر)، إلا أن منهج الكتاب وطريقته اتفقت نوعاً ما مع طرائق تدريس اللغة العربية، وإن كان يؤخذ عليه في هذا الصدد تجاهل أو غياب النظريات اللغوية الحديثة المعروفة في تعليمية اللغة، وهو أمر كان ينبغي أن يوضع في الحسبان عند تأليف هذا النوع من الكتب خاصة الكتب المدرسية" قاصدين من ذلك الكتاب التعليمي".

الكم يقابله ضيق الوقت (حصة واحدة في الأسبوع)

دروس مكثفة، والمنهج المتبع في عرض الدرس كقطعة أدبية مقتطفة من نص نثري غالباً، ثم التطرق إلى القاعدة مباشرة، وبعد ذلك تأتي التدريبات التي تقف عند حدود الدرس ولا تتجاوز ذلك إلى تدريبات أخرى عامة تكون بمثابة مراجعة لما سبق، ولنا بعض الملاحظات على هذا الكتاب أولها:

❖ غموض بعض الكلمات في النصوص المختارة تحتاج لبيان معنى (ينظر مثلاً نص كوكب الأرض، ص 118 - 119) فسر معنى المغناطيس وترك معنى الجاذبية، كما وظفت بعض الأخطاء الشائعة في اللسان العربي في عصرنا الحاضر، من شهادة ذلك قولهم: وسيلة ناجحة بالحاء المهملة، والصواب ناجعة بالعين المهملة.

❖ في إعراب المستثنى على سبيل المثال أعرب بأنه مستثنى لا غير، دون تحديد علامة إعرابه، ص 128 ن والشيء نفسه للحال ص 102، ولكن في موضع آخر أعرب الصفة "كبير" بأنها صفة مجرورة وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخره ص 92، وأعربت الجملة (في النهر) بأنها شبه جملة في محل نصب ص 70، خبر كان، ولم توحد الطريقة في إعراب الفعل، أو الاسم، أو الجملة، وفي إعراب المنادى حددت علامة الإعراب فأعرب يا شباب: منادى مبني على الضم في محل نصب ص 56، ويلاحظ أن إعراب الحال ❖ في هذا الكتاب مازال ناقصاً، حيث يكتفى فيه بالقول إنه حال ولم توضح علامة إعرابه.

ويلحظ أن هناك تنوعا في النصوص المختارة، فبعد أن كانت قطعة أدبية أصبحت في بعض الأحيان شعرا، وفي البعض الآخر حوارا، بين اثنين، وهذا من إيجابيات التأليف (تطور في مستوى التأليف في الكتاب المدرسي)، ويقدم في هذا الكتاب موضوع في النحو، فيدرس التلميذ فيه الجملة وأنواعها، وفي الوجه الآخر يدرس التلميذ المجرد والمزيد، ومن ثم الخبر جملة، ثم الفعل الصحيح والفعل المعتل (الخلط بين موضوعات النحو والصرف).

افتقرت بعض الموضوعات إلى الإعراب ص 178 أتعرف على إعراب الفعل المعتل، إلا أننا نجد هذا الموضوع يفتقر إلى الإعراب حيث يكتفى فيه بالقول: الفعل المضارع المعتل الآخر يرفع :

- بضمة مقدرة على الألف مثل : يخشى
- بضمة مقدرة على الواو مثلا : يدنو
- بضمة مقدرة على الياء يجري

فهذه المواضع كان يستحسن التفصيل في إعرابها إعرابا تاما.

التمهيد للطريقة الصحيحة المتبعة في الإعراب؛ وذلك بإعراب مثال أو مثالين، ولا بأس أن يطلب من التلميذ ضبط الكلمة وبيان سبب الضبط، ولا نقصد بالضبط العلة في ذلك؛ لأن قدرة التلميذ وسنه لم يصل إلى درجة التجريد التي تجعله يؤول ويقدر؛ فهو يتعامل مع المدركات الحسية المجسدة على أرض الواقع، وإنما نقصد التعليل للمسائل النحوية، وذلك بضبط أواخر الكلمات مع بيان سبب الضبط، هذا التمهيد يساعد التلميذ على فهم الإعراب واستيعابه ومعرفة الخطوات المتبعة في الإعراب.

ومن الملاحظات التي نراها جديرة بالذكر في هذا الصدد أن الكتاب مهد للتلاميذ كيفية الإعراب، إذ عمد إلى ذكر الطريقة الصحيحة المتبعة فيه وذلك بإيراد بعض الأمثلة المعربة (ينظر مثلا أتعرف على الصفة ص 92).

- ونصل بعد هذه الدراسة إلى تقديم جملة من الاقتراحات؛ راجين أن نجد لها صدًى في الأوساط التعليمية والتربوية، نجملها على النحو التالي:
- إعادة النظر في تأليف الكتب المدرسية والاستفادة من النظريات اللغوية الحديثة.
 - الكتاب المدرسي وسيلة لا غاية في حد ذاته، والكتاب المدرسي من أنجع الوسائل التعليمية.
 - أن يكون الهدف الرئيس من صناعة الكتاب هو القيمة العلمية للبحث في هذا المجال، وضرورة التركيز المكثف على الإعداد، والتحرير، واختيار المادة العلمية المراد تعليمها، والإخراج الفني، والشكل الخارجي ...، كل ذلك يعد أمراً ذا أهمية خاصة.
 - كثرة التدريبات والتمرينات اللغوية ومشاركة التلاميذ جميعهم في القيام بحلها، وتخصيص حصة لذلك.
 - نقترح أن يبدأ في النحو بتدريس الأصوات، وأن يطلع معلم اللغة العربية على ما تقدمه اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية، لا بد أن يكتسب المهارة لتعليم اللغة وهو من ثم مطالب بامتلاك الكفاية اللغوية.
 - توظيف معطيات الواقع المعيش والإكثار من الموضوعات النحوية الوظيفية التي لها علاقة بالاستعمال اليومي في الحياة.
 - الهدف من تدريس قواعد النحو هو سلامة الأسلوب وصحة التركيب وصيانة اللسان والقلم من الأخطاء.

* كتاب في اللغة العربية-السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، إشراف وتأليف: شريفة غطاس أستاذة التعليم العالي، تأليف: مفتاح بن عروس: أستاذ مكلف بالدروس-عائشة بوسلامة سياخ معلمة، تصميم وتركيب: فوزية مليك، تصميم الرسومات والغلاف: زهية يونس-شمول-كريم حموم، معالجة الصورة: يوسف قاسي وأعلي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، السنة الدراسية: 2007-2008.

1-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 698/1 وما بعدها، بطرس البستاني، محيط المحيط محمد سيد محمد، صناعة الكتاب ونشره، ص 13-14.

2- الإمام أبي عبد الله بن إدريس رضي الله عنه، قدم له مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص 29-30.

3-أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية -حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص.45

4-المرجع نفسه، ص45-46

5-محمد زياد حمدان، تقييم الكتاب المدرسي -نحو إطار علمي للتقويم في التربية، دار التربية الحديثة، ص 09

6-محمد سيد محمد، صناعة الكتاب ونشره، ص254 وما بعدها.

7-سميح أبو مغلي، الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، 1997، عمان، الأردن، ص59.

8-عبد اللطيف فؤاد إبراهيم، المناهج، القاهرة، مكتبة مصر، 1984، ص555.

9-عبد الرحمن الحاج صالح " أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1974، العدد 04 ص72.

10- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3/38.

11-راتب قاسم عاشور، محمد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط2، 1427هـ -2007، ص 103.

12-عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف بمصر ص.209

13-عبد الرحمن الحاج صالح " الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ألقى هذا البحث في ندوة بناء المناهج التعليمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1985، نشر في المجلة العربية للتربية (الأيسكو) سبتمبر 1985، المجلد الخامس، العدد 02، ص 19.

14-جريدة الأهرام المصرية، 1993/12/27، ص18.